



الفكر التوحيدي في المسيحية مصادره ووثائقه

د. مختار خضر حسن

مستخلص البحث

لقد بدأت عقيدة التوحيد كحركة لاهوتية بداية مبكرة جدا في التاريخ، والحقيقة إنها تسبق عقيدة التثليث في المسيحية بالكثير من عشرات السنين، ولم يكن الطريق الذي تحولت فيه العقيدة من التوحيد الى التثليث أي من اورشليم –مجتمع المسيح وتلاميذه– إلى نيقية حيث المجمع المسكوني الأول عام ٣٢٥م لمحاولة الإتفاق على مسيحية واحدة– من الخطأ القول أنه كان طريقاً مستقيماً ذلك أن عقيدة التثليث التى أقرت في هذا المجمع لم تعكس بدقة العقيدة والتعليم المسيحي الأول فيما يتعلق بوحدانية الله وجوهره بل على العكس من ذلك كانت انحرافا عن هذه العقيدة والتعليم، ولهذا تطورت ضد التوحيد الخالص. وفي هذا البحث نعرض بإيجاز مبادئ الفكر التوحيدي في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد كما نعرض لأهم الأناجيل المعتمدة والوثائق والمخطوطات التوحيدية المكتشفة في السنوات الأخيرة والتي تدل على أصالة التوحيد في رسالة عيسى عليه السلام وان التثليث أمر مبتدع ودخيل وتحريف واضح للعقيدة وانحراف بها عن الأصل الثابت.

Abstract:

The doctrine of monotheism as a theological movement began a very early beginning in history, and the fact that it preceded the trinitarianism of Christianity for many decades, and the path in which the doctrine from monotheism to trinitarianism from Jerusalem-the society of Christ and its disciples-to (Necea), where the first Ecumenical Council in ٣٢٥ A.D. to try to agree on one Christianity, it is wrong to say that it was a straight path because the faith of the trinitarianism that was adopted in this council did not accurately reflect the doctrine and the first Christian teaching with regard to Oneness of God and His essence, on the contrary, was a deviation from this faith and teaching, and therefore, evolved against pure monotheism. In

this research, we briefly present the principles of monotheistic thought in the Bible in its old and new testaments, as well as the most approved Bibles, documents and monotheistic manuscripts recently discovered, which demonstrate the authenticity of monotheism in the message of Jesus (peace be upon him) and that trinitarianism is a heresy, an adventitious and a clear fabrication of the doctrine and a deviation from its origin.

مقدمة:

في خضم الصراعات بين الأديان تتجلى كراهية الآخر المختلف معه عقيدة وثقافة، أو رفضه أو إقصائه، وينتج ذلك عن سوء فهم عميق وقصور معرفي كبير لمعتقدات الآخرين و ثقافاتهم، فضلاً عن عمليات التشويه أو التنميط التي تصاغ داخلها معالم كل دِيّن وثقافة. ولعل من أهم أسباب هذا التشويه المتعمد من جانب الآخر هو النظر إلى أهل كل دين وكأنهم جميعاً في سلة واحدة، غير أن الحقيقة غير ذلك، ففي كل دّين طوائف عديدة وفرق كثيرة ، ومن الطوائف المسيحية، هنالك طائفة مسكوت عنها في أغلب الأحيان وهي طائفة المسيحيين. ولكي لا نقع في الخطأ نفسه الذي وقع فيه كثيرون، ينبغي لنا أن نتعرف على أصول ومبادئ الفكر التوحيدي ومصادره و وثائقه الدينية و التاريخية، ولذا جاء هذا البحث ليلقي الضوء على هذا الفكر التوحيدي في المسيحية الذي تتبناه طائفة الموحدين المسيحيين، لا سيما و أنها تمثل حضوراً سياسياً و ثقافياً باعتبارها ممثلةً للعراقة الدينية التي أساسها التوحيد الخالص لله رب العالمين، وباعتبارها كذلك تمثل النقيض للحركة الأصولية والحركة الصهيومسيحية فضلاً عن أن الموحدين المسيحيين محسوبون كجزء من التيار الليبرالي في أمريكا والغرب الذي لا يرى ضرورة للصراع الحضاري والديني.

وتعود مبادئ الفكر التوحيدي وجذور عقيدة الموحدين المسيحيين إلى الدين نفسه الذي جاء به المسيح من عند الله ورسالته التي بعث بها وهو الإسلام في العقيدة والتوحيد الخالص الذي هو لُبها، واتباع التوراة





(الشريعة)، فهم في الأصل الطائفة التي آمنت من بني اسرائيل كما قال تعالى(فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة) الصف١٤، وتمسكوا بالإيمان الذي كان عليه الحواريون كما قال تعالى :(قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون)آل عمران٥٢

أهداف البحث:

١/عرض المبادئ التوحيدية التي يقوم عليها فكر الموحدين المسيحيين وعقيدتهم –وهي الطائفة المسكوت عنها- والتي تدحض عقيدة التثليث التي تتبناها الكنائس بموجب نص الإيمان الذي أقره مجمع نيقية عام٣٢٥م.

٢/عرض الأناجيل والوثائق والمخطوطات التي تدعم عقيدة التوحيد التي جاء بها المسيح عليه السلام.

منهج البحث:

اعتمد الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي الوصفي لنصوص الكتاب المقدس المعتمد لدى المسيحيين والمخطوطات التاريخية.

هيكل البحث:

ينقسم البحث إلى فصلين وكل فصل ينقسم إلى مباحث على النحو التالي:

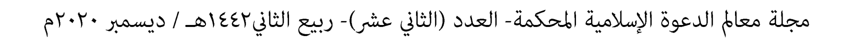
الفصل الأول: التوحيد ومبادئ الفكر التوحيدي في المسيحية:

المبحث الأول: التوحيد في العهدين القديم والجديد.

المبحث الثاني: الأناجيل التوحيدية.

المبحث الثالث: المخطوطات التوحيدية.

الفصل الثاني: التثليث وتطورات هامة في المسيحية:



المبحث الأول: تسرب الثالوث الوثني للمسيحية.

المبحث الثاني: تطورات هامة في المسيحية.

المبحث الثالث: الإسخاتولوجي والخيريوس.

المبحث الرابع: المعتقدات المسيحية المحدثة.

الخاتمة

النتائج والتوصيات

المصادر والمراجع





الفصل الأول

التوحيد ومبادئ الفكر التوحيدي

المبحث الأول: التوحيد في العهدين القديم والجديد

لقد استشرت عقيدة التثليث وذاع صيتها إثر تصديق المجامع الكنسية عليها لتأخذ صفة الاعتماد القانوني عبرها، غير أن ذلك لا يعني أن الانتصار الكامل قد تحقق لها على عقيدة التوحيد التي بعث بها المسيح عليه السلام.

فمنذ أن جاء المسيح وآمن به من آمن، كان بعض أولئك المؤمنين به وبرسالته – ولا يزالون حتى يومنا هذا على عقيدة توحيدية تؤمن بالله الواحد الأحد، وترفض الخلط بينه وبين المسيح على أي صورة من الصور، رغم تفاوت تقديسها للمسيح الذي تؤمن به مخلوقاً من دون الله وتنتشر الجماعات الموحدة في عصرنا هذا في كل أنحاء العالم[(١)].

إننا نستطيع أن نتلمس معالم هذا الفكر التوحيدي من بين ثنايا العهد الجديد، والذي يعبر عن بقايا وحي الإنجيل الذي نزله الله تعالى على عيسى عليه السلام تسرب من بين أصابع الكهنة والنساخ رغم التحريفات والانحرافات التي أدخلوها على كتابهم المقدس. ويمكننا هنا أن نلخص مبادئ الفكر التوحيدي في المسيحية نقلاً عن "دائرة المعارف الأمريكية" على النحو التالي:

- (إن كنيسة الموحدين تعتبر الكتاب المقدس تسجيلاً قيماً للخبرات الإنسانية، وهي تصر على أن كُتابها كانوا معرضين للخطأ، لذلك فإن أغلب المعتقدات المسيحية قد رُفضَت.
- إن التعليم اللاهُوتي الذي لا يمس الحياة في أي نقطة يفقد قيمته الدينية.

(١) أحمد عبدالوهاب، (طائفة الموحدين من المسيحين عبر القرون)، مكتبة وهبة – مصر، ١٩٨٠م، صـ٤٠




- إن الفرق التاريخي بين التوحيد والتثليث يأتي من حقيقة أن الموحدين طالما كانوا يؤمنون بوجود إله واحد، فإنهم يعتقدون أن الله أقنوم واحد بدلاً من ثلاثة أقانيم ...
- ثم تقرر دائرة المعارف الأمريكية الحقيقة الكبرى وهي: أن الأسفار لم تعط قط أي مستند للاعتقاد في التثليث، إن نظام الكون يتطلب مصدراً واحداً للشرح والتعليل لا ثلاثة لذلك فإن عقيدة التثليث تفتقد أي قيمة دينية أو علمية، بحسب تعبير الموسوعة.
- ان الحقيقة المزعومة أن يسوع مات من أجل خطايانا، وبهذا وقانا لعنة الله إنما هي مرفوضة قطعاً، إن الاعتقاد في أن يسوع كان له هذه النتيجة، إنما يعني الطعن في أخلاق الله إن الله يجب أن لا يُعرف عن طريق اللعنة، بل عن طريق الحلم والحكمة والمحبة ...)[(١)].

إن الفقرات الدالة على وحدانية الله في الكتاب المقدس - بشقيه العهد القديم والعهد الجديد - كثيرة نسوق بعضاً منها للدلالة على أصالة التوحيد في رسالة عيسى عليه السلام وأن التثليث أمر مبتدع وطارئ وتحريف واضح للعقيدة وانحراف عن أصلها الأول.

فمن الأدلة:

في أسفار العهد القديم:

- في سفر التكوين: (وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا، على شبهنا) وتفسيرها: أن الله تعالى هو خالق الإنسان، وصيغة الجمع هنا تستعمل للتفخيم والتعظيم ولا تدل على تعدد الآلهة.
- كما أن الله تعالى هو خالق الكائنات جميعاً بنفسه دون أن يشاركه أحد في ذلك كما ورد في الإصحاح الأول من سفر التكوين، والفقرة الثانية من الإصحاح الثاني، والثانية كذلك، والإصحاح الخامس

---

(١) Encyclopedia Americana. ١٩٥٩. vol ٢٧. P:٣٠٠-٣٠١

الفقرتين الثانية والثالثة وكذلك في إنجيل متى الإصحاح التاسع عشر الفقرة الرابعة.

- وفي سفر التكوين: (وسقط إبراهيم على وجهه).
- وفي سفر أيوب: (وخر على الأرض وسجد).
- وفي سفر العدد: (فخرا على وجهيهما)[١].

اذن الجميع كانوا يسجدون لله الواحد، ولم يكن معه أحد آخر.

- وفي سفر التثنية:(إنك قد رأيت لتعلم أن الرب هو الإله هو الإله ليس اخر سواه)
- وفي نفس السفر:(الرب إلهنا رب واحد).
- وفي سفر الملوك:(ليعلم كل شعوب الأرض أن الرّب هو الله وليس آخر).
- وفي المزامير[٢]...وكثير غيرها يثبت أن الأبن لم يكن موجوداً وأن الله وحده هو الأبدي ويؤيد ذلك ما تقرره أسفار الأنبياء.
- ففي إشعيا:(أنا الرب صانع كل شيء).
- إشعيا :(أنا الرب وليس أخر، لا إله سواي).
- إشيعا: (لأني أنا الله وليس أخ ، وليس مثلي).
- وفي هوشع: (إلهاً سواي ليس تعرف) [٢].
- وفي حبقوق:(ألست أنت منذ الأزل يا رب، إلهي قدوسي لا يموت).

أدلة التوحيد في أناجيل العهد الجديد ورسائله:

أ/ في الأناجيل:

---

[١] أنظر سفر التكوين: ٢٦:١، ٣:٧، أيوب: ٢٠:١، العدد ٢٢:١٦، متى ٤:١٩

[٢] أنظر أسفار التثنية٤٠-٣٥، ٤:٦، الملوك٦:٨، المزامير: ٧:٢، ١:١١٠، أشعيا: ٢٤:٤٤، ٥:٤٥، ٩:٤٦، ٣٣، هوشع: ٤:١٣، وحبقوق: ١٢:١

- في إنجيل متى:(لا يقدر أحد أن يخدم سيدين) أي إلهين.
- في إنجيل متى ومرقص من أقوال المسيح:(ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله).
- في إنجيل متى: من أقوال المسيح: (تحب الرب إلهك من كل قلبك هذه هي الوصية الأولى والعظمى).
- في إنجيل متى:(لأن أباكم واحد الذي في السماء).
- وفي إنجيل مرقص من أقوال المسيح:(وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الأبن إلا الآب)، وسأل أحد التلاميذ المسيح كما ورد في نفس الإنجيل: أية وصية هي أول الكل؟ فأجابه يسوع: إن كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل: الرب الهنا رب واحد ...، جيد يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه).
- وفي إنجيل يوحنا:(الله لم يره أحد قط) وفي نفس الإنجيل: (أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته)[1]. وفي إنجيل يوحنا، من أقوال المسيح :(أنت الاله الحقيقي وحدك ،ويسوع المسيح الذي أرسلته)

ب/ في الرسائل:

- في رسالة بولس الأولى إلى تيمو ثاوس: (وملك الدهور الذي لا يفني ولا يُرى، الإله الحكيم وحده له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور).
- وفي نفس الرسالة:(يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس).

---

[1]إنجيل متى: ٢٤:٦، ١٧:١٩، ٢٢: ٣٧-٣٨، ٩:٢٣، ٧:٤، مرقص: ٣٢:١٣، ٢٨:١٢، ٣٢ ، يوحنا: ١٨:١،٣:١٧

- وفي نفس الرسالة:(العزيز الوحيد ملك الملوك، وربّ الأرباب الذي وحده له عدم الموت، ساكناً في نور،لا يدني منه أحد، الذي لم يره أحد من الناس، ولا يقدر أن يراه، الذي له الكرامة والقدرة الأبدية).
- وفي رؤيا يوحنا: (أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية، يقول الرب) أي الرب قال هذا وليس المسيح.
- وفي رؤيا يوحنا- وكذلك في إنجيله -(ثم رأينا عرشاً عظيماً والجالس عليه) يتكلم عن الله جل جلاله وعرشه، دون أي ذكر لوجود المسيح عليه السلام بجانبه.
- وفي نفس الرؤيا(...وسجدوا لله)، (سيكونون كهنة لله والمسيح) [١]، وتدل قطعاً على أن الله سبحانه وتعالى والمسيح عليه السلام منفصلان تماماً.
- وبالعودة لرسائل القديس بولس نجد في رسالته الأولى تيموثاوس عبارة:(الذي وحده له عدم الموت...) فالله وحده هو الحي الذي لا يموت، أما المسيح فقد كان ميتاً – كما جاء في رؤيا يوحنا:(وكنت ميتاً وها أنا حي).

إن شهادة أن لا إله إلا الله وأن يسوع رسول الله هي أساس العقيدة المسيحية في صورتها الأولى كما جاءت على يد المسيح عليه السلام، وآية ذلك ما يصرح به الإنجيل الرابع- إنجيل يوحنا – من أن (المسيح عليه السلام توجه ببصره نحو السماء قائلاً لله: وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته)[٢].

لقد شهد المسيح أن الحياة الأبدية هي شهادة أن لا إله إلا الله وأن يسوع رسول الله، وهو عين ما يؤمن به المسلمون. وحيث أن الحياة الأبدية

---

(١) رسالة إلى تيموثاوس ١٧:١ ، ٥:٢ ، رؤيا يوحنا ٨:١ ، ٣:٤ ، ١:٥ ، ١٦:١١، ٥:٢٠

(٢) أنجيل يوحنا:٣:١٧

حسب قول المسيح هي: التوحيد الحقيقي فيكون التثليث هو الموت الأبدي وهو الضلال.

إن النص السابق من إنجيل يوحنا يبرهن على الأتي:

- **أولاً:** أن الله هو الإله الحقيقي وحده، وأن يسوع لا يعرف شيئاً من التثليث أو الأقانيم، يدل على ذلك قوله:(أنت الإله الحقيقي وحدك).
- **ثانياً:** إن يسوع لم يدع قط الألوهية، ولذلك يشير إلى الله بأنه الإله الحقيقي وحده، ولم يشر إلى نفسه قط.
- **ثالثاً:** لقد شهد يسوع المسيح على نفسه بأنه رسول الله فحسب (ويسوع المسيح الذي أرسلته).

إن المسيح – عليه السلام – لم يقل:(إن الحياة الأبدية أن يعرفوك أنكم ثلاثة أقانيم، وأنكم جميعا واحد)، وإن المسيح لم يقل أبداً أن الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله المكون من ثلاثة أقانيم ، أقانيم الأب والأبن والروح القدس، بل لقد شهد المسيح أن الحياة الأبدية هي شهادة أن لا إله إلا الله وأن يسوع رسول الله – كما أسلفنا.

المبحث الثاني: المخطوطات التوحيدية:

إذا كان مجمع نيقية قد قرر قانونية الأناجيل الأربعة وبعض الرسائل التي تتفق مع عقيدته التثليثية، فقد بقيت هناك كتباً توحيدية، ومخطوطات وجماعات توحيدية استطاعت الاختفاء وبقيت بعيدة عن الحرق والمصادرة التي أعلنتها مجمع نيقية وشملت كل الكتب والمصادر المخالفة للعقيدة التي قررها، كما بقيت الجماعات الموحِّدة يسري وجودها في كل مراحل تطور المسيحية حتى يومنا هذا[١].

ومن المخططات التوحيدية:

١-مخطوطات نجع حمادي:

التي عثر عليها عام ١٩٤٥م في جَرّاتْ خزفية في منطقة نجع حمادي بمصر، وهي تحتوي أناجيل وكتابات غنوصية ، وقد استطاع الفرنسي جين دوريس– وهو من المتخصصين في المصريات القديمة – استطاع فحص هذه المخطوطات وقال عنها:(إن هذا المخطوط يؤدي إلى تغيير كل ما هو معروف عن أصل الحركة المسيحية...)، وقد بلغ عدد هذه المجلدات ثلاثة عشر مجلداً، تحتوي على اثنتين وخمسين نصاً، حفظت في المتحف المصري القديم عدا جزء كبير من المجلد الثالث عشر ويحوي خمسة نصوص هربت للبيع في أمريكا، واشتراها (جايلز جيمس بيل) أستاذ تاريخ الديانات في جامعة أو تريش الهولندية، وبعد اطلاعه عليها وجد فيها أجزاء ناقصة فسافر إلى القاهرة واطلع على المخطوطات وحمل منها صوراً فتوغرافية، وعندما عاد لقراءتها، كانت المفاجأة التي أدهشته حينما وجد في مقدمتها:(هذه هي الكلمات السرية التي قالها يسوع الحي، ودونها ويدموس جوداس توماس)، وهو " إنجيل توماس" وهو إنجيل توحيدي

---

[١] لمعرفة كثرة الموحّدين في القرون الأربعة الأولى للمسيحية، يرجع لما كتبناه عن مجمع نيقية وكذلك "محاضرات في النصرانية" للشيخ الإمام محمد أبو زهرة، صـ١١٠ وما بعدها.

وتعده الكنيسة من الأناجيل غير المعتمدة (ابوكريفا)، وقد اكتمل المجلد الثالث عشر للمتحف عام ١٩٦١م.

ويرجع السبب في إخفاء هذه المخطوطات هو حمايتها من أيدي الرومان الوثنيين الذين اضطهدوا المسيحين الأوائل وطاردوهم في كل مكان ونكلوا بهم، وقد تأكد جيمس بيل "أن تلك المخطوطات كلها ترجع إلى القرون المسيحية الأولى ومنها أناجيل لم تكن معروفة من قبل، مثل إنجيل توماس (الكامل) وإنجيل فيليب وإنجيل الحق، وإنجيل المصريين، إلى جانب كتابات منسوبة للحواريين مثل كتاب جيمس، وخطاب بطرس إلى فيليب إضافة إلى رؤيا بولس.

ويتفق الباحثون في أن اختفاء هذه المجلدات كان في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، وهي الفترة التي تلت مجمع نيقية عام ٣٢٥م حيث أصدر الإمبراطور الروماني والكنيسة الرومانية أوامرها بمصادرة وإحراق كل الأناجيل المخالفة، بل وقتل كل من توجد عنده، مما اضطر أصحابها لإخفائها، كما أن أوراق البردى المستخدمة في تبطين الأغلفة الجلدية تعود إلى تلك الفترة الزمنية[١].

وقد تأخر المتحف القبطي في نشر هذه المخطوطات وظل مترددا ومماطلاً في نشرها لأن نشرها – كما يقول جين دوريس[٢] - (سيغير كل ما هو معروف في أصل الديانة المسيحية)، ليس من الناحية التاريخية فحسب بل فيما يتعلق بالعقائد والأصول التي شبت عليها المسيحية المحدثة، فعلى سبيل المثال - نجد أن أناجيل العهد القديم المتداولة تقرر أن المسيح مات على الصليب من أجل خطايا البشر، إلا أن هذا الحدث ليس

---

(١) أنظر مخطوطات البحر الميت: للأستاذ.أحمد عثمان، وقد تناولها باستفاضة، وكذلك مخطوطات نجع حمادي.

٢ عالم فرنسي من المتخصصين في المصريات القديمة و زار المتحف المصري و فحص مخطوطات نجع حمادي

غائباً فقط عن أناجيل نجع حمادي القبطية، بل إن بعضها ينفي صراحة هذه القصة ويسخر من قائليها [١].

ولا شك أن هناك اختلافات جوهرية بين التصورات المسيحية السائدة الآن، وبين تصورات المسيحين الأوائل الذين دونوا مخطوطات نجع حمادي، ولذلك يقول الأستاذ هيلموت كويستر- أستاذ التاريخ المسيحي بجامعة هارفارد (إن مكتبة نجع حمادي فرضت علينا إعادة كتابة التاريخ المسيحي)، وقد أكد أنه شخصياً بدأ في إعادة كتابة أعماله السابقة على ضوئها.

* **إنجيل توماس:** وهو إنجيل توحيدي لا يمكن اعتباره هرطوقياً(مبتدعاً) ويُصنّف – كما تقدم – ضمن مخطوطات نجع حمادي وهو إنجيل توجيهي إرشادي وليس تاريخياً، حيث أنه يخلو من أي قصة أو رواية للأحداث، بل هو مكون من (١١٤) قولاً منسوباً للمسيح عليه السلام، ويصعب على من يخالفه أن يرميه بالابتداع أو الهرطقة، لأن جزءاً كبيراً من أقوال المسيح فيه نجدها مبثوثه في ثنايا الأناجيل المعتمدة في العهد الجديد، إلى جانب أقوال ووصايا لم تظهر بها، وتعود كتابة هذا الإنجيل إلى عشرين سنة قبل تاريخ كتابة الأناجيل المعتمدة عام ٧٠م، وبهذا يكون هو أقدم الأناجيل المعروفة حتى الأن.

ومن الملفت للنظر في هذا الإنجيل العتيق عدة ملاحظات منها:

- **أولاً:** أنه يورد المعجزات التي جرت على يد المسيح عليه السلام كما قصها القران الكريم وسردها [٢]، بل إنه يورد معجزات لم تشر إليها الأناجيل المعتمدة قط: كمعجزة النخلة، وتكلمه في المهد ومعجزة إنبائه لهم عما يأكلون وعما يدخرون، كما أنه لم يذكر

---

(١) http: //www.ealam١٠٠.blgspot.com .p.٧

(٢) كما ورد في سورة مريم، سورة المائدة ، وسورة آل عمران.

قصة الصلب نهائياً، وكلها أمور شهد بصحتها القرآن، والقرآن هو الكتاب الخاتم والمهيمن والشاهد على الكتب التي تنزلت من قبله.

- **ثانياً:** أنه ورد فيه ان: (شخصاً آخر هو الذي شرب الماء والخل، ولم يكن إياي ضربوني بالقصب، لقد كان شخصاً آخر هو شمعون الذي حمل الصليب على كتفه، لقد كان شخصاً آخر الذي وضعوا على رأسه التاج والشوك، وأنا كنت أضحك من جهلهم).
- **ثالثاً:** وجاء في الفقرة (١٢) من هذا السفر العتيق: (قال التلاميذ ليسوع نعلم انك سوف تتركنا، فمن حينئذ سيكون قائدنا، فقال لهم يسوع: حيثما تكونون عليكم أن تذهبوا إلى يعقوب البار)، وعندما نعود إلى سفر التكوين نقرأ الآتي: (وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسى فدعي اسمه يعقوب)[١]، ومعنى يعقوب هنا هو العاقب الذي يعقب من سبقه، العاقب هو أحد أسماء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد صحّ عنه انه قال: (إن لي أسماء أنا محمد، وأنا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأن العاقب ليس بعده نبي)[٢]، فهذه هي إحدى وصايا المسيح عليه السلام لتلاميذه ولمن جاء بعدهم.

* **إنجيل برنابا:**ينسب هذا الإنجيل للقديس برنابا، الذي كان معروفاً لدى المسيحين في عصورهم القديمة وبأن له إنجيلا، (وقد ورد ذكر هذا الإنجيل فيما ينسب لقدامى رجال الكنيسة من بحوث وقرارات، ومن ذلك القرار الذي أصدره البابا جلاسيوس الأول الذي تولى بابوية الكنيسة الكاثوليكية بروما سنة ٤٩٢-٤٩٦م،وعدّد فيه الكتب المنهي عن قراءتها، وذكر من بين هذه الكتب إنجيل برنابا، وهذا يدل على أن إنجيل برنابا

---

[١] سفر التكوين: ٢٥:٢٦

[٢] رواه البخاري ومسلم

كان معروفاً في القرن الخامس الميلادي، أي قبل بعثة رسولنا عليه الصلاة والسلام بنحو قرنين)[١].

وبرنابا صاحب هذا الإنجيل، هو أحد حواري المسيح عليه السلام واسمه يوسف بن لاوي بن إبراهيم وهو إسرائيلي من سط لاوي من أهل قبرص وقد باع حقله ووضع ثمنه عند أرجل تلاميذ المسيح[٢]، وأشتهر بالصلاح والتقوى وهو الذي صحب بولس وقدمه لتلاميذ المسيح وزكّاه عندهم، ولكنهما سرعان ما اختلفا وتشاجرا حيث ذهبا من أنطاكيا إلى طرسوس، وبعد هذا الشجار اختفى ذكر برنابا، وذكر المؤرخون أن وفاته كانت سنة ٦١م في قبرص حيث رجمه الوثنيون بالحجارة حتى قتلوه، ودفنه أبن أخته مرقس المنسوب له الإنجيل الثاني.

وثبت تاريخياً وجود إنجيل لهذا الرجل الصالح برنابا، وقد عثر عليه العالم الألماني تشندروف١٨٥٩م ضمن المخطوطة السينائية، الأمر الذي يشير إلى أن هذا الإنجيل كان مقدساً فترة من الزمن.

وعبر تاريخ المسيحية الطويل حُرّم إقتناء أو قراءة هذا الإنجيل، فقد أكد على هذا التحريم مجلس الكنائس الغربية ٣٨٢م ، ثم أكده البابا أنوسنت ٤٦٥م، ثم البابا جلاسيوس الأول ٤٩٢م، مما يدل على العداء الكبير لهذا العدو التقليدي لعقيدة الكنائس التي قررها مجمع نيقيه وكل الباباوات المتعصبون لهذه العقيدة.

ثم أختفى ذكر هذا الإنجيل نحو أحد عشر قرناً حتى عثر عليه الراهب الإيطالي فرامينو، كما يروي ذلك المستشرق الشهير سايل وقد طالع فرامينو إنجيل برنابا حين عثر عليه في مكتبة البابا سكتس الخامس، وأعتنق الإسلام إثر ذلك.

---

[١] علي عبدالواحد وافي، (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام)، دار العالم العربي – مصر، ١٩٧١م، صـ٩٥

[٢] أعمال الرسل: ٤: ٣٥-٣٧، ٢٧:٩

ثم انقطع ذكر هذه النسخة حتى مطلع القرن الثامن عشر حتى عثر عليه كريمر ١٧٠٩م أحد مستشاري ملك روسيا – وكانت قد استقرت في مكتبة فيينا، وحين اشتهرت وذاع صيتها أجمع أباء الكنيسة أمرهم على حرب هذا الإنجيل وتكذيبه ومحاربة نشره وألفوا ضده الكثير من المؤلفات.

وقد ترجم هذا الإنجيل للعربية الأستاذ خليل سعادة[1]، وذكر في مقدمه ترجمته وجود نسخه إسبانيه تناقلها عدد من المستشرقين في القرن الثامن عشر، وانتهت إلى يد الدكتور/هوايت الذي ذكر أنها مترجمة عن نسخة البلاط الملكي الإيطالي وقد حكم المترجم أن هذا الإنجيل مختلق مزور، وأنه كتب بيد بعض المسلمين من العصور الوسطى.

وقد ذكر المترجم شُبها فندها المحققون وأظهروا تهافتها، ومن هذه الشُبه – على سبيل المثال:-

- تصريحه بالبشارة باسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والرد: أن هذا من حجج ثبوته وليس من شبة تزويره، وأنه لما صرح بذلك دل على صراحته وقوته وعفويته ووثوقه مما يقول.
- تكذيبه لألوهية المسيح وتشنيعه على ترك الختان المقرر في الشريعة الموسوية، والرد أن هذا دليل أصالته ذلك أن القول بألوهية المسيح عليه السلام محدث حتى عند محققي اللاهوت وأما الختان فهو كما أسلفنا في شريعة موسى التي جاء المسيح ليكملها لا لينقضها – كما أعلن هو – إنما نقضها بولس كما تشهد بذلك أسفار العهد الجديد.

أما إثبات هذا الإنجيل وأصالته، وضرورة القبول به فان عدة أسباب تدعو إليه، ومنها:

---

[1] انجيل برنابا ترجمه للإنجليزية د. خليل سعادة – القاهرة – مطبعة المنار لصاحبها محمد رشيد رضا





- أن صياغته وأسلوبه مختلف عن طريق المسلمين، وآية ذلك أن المسلمين لا يُذكر اسم محمد صلى الله عليه وسلم بإسم محمد ولو كان كاتبه مسلم لذكره باسمه الثاني المنصوص عليه في القران "احمد" ليوافق نص آية صورة الصف، قال تعالى: (...وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ...)سورة الصف الآية (٦)، فلم يذكره بهذا الاسم ولو لمرة واحدة، ثم أنه ليس من المسلمين من يذكر الله تعالى ولا يثني عليه، ويذكر الأنبياء ولا يسلم عليهم كما هو وارد في إنجيل برنابا.
- وحينما يدفع المسلمون القول بأنه إنجيل منحول، فليس لجزمهم بصحة نسبته لبرنابا الحواري، بل لجزمهم أن هذا الإنجيل لا يقل حال من الأحوال عن سائر الأسفار في العهد الجديد التي لم يصل إلينا أي منها بطريق موثوق، بل إن لإنجيل برنابا مزية عليها بكون كاتبها يصرح في ثناياه أنه برنابا الحواري ويصرح بخطابه المباشر للمسيح عليه السلام بل قد افتتح ديباجته بقوله "برنابا رسول يسوع الناصري".
- وفضلا عن هذا فإن أسلوب الكاتب ومعلومات الإنجيل يؤكدان أن قوته وضلوعه في علوم الكتاب المقدس وصلاحه الظاهر على نحو يليق بمثل برنابا الحواري الداعي للمسيحية الأصيلة الأولى في جيلها الأول.
- وقد أستشهد برنابا بأثنين وعشرين سفراً من العهد القديم[1] في حين أن الأناجيل المعتمدة مجتمعه لم تزد في إستشهاداتها على أربعه أسفار فقط، وحرفتها وزادت عليها بخلاف أمانة برنابا وصدقه.

ومما يرجح ميزان هذا الإنجيل أنه يحتوي على كل ما ذكرته الأناجيل الأربعة مجتمعه تقريباً عن المسيح ما عدا: تأليه المسيح وصلبه

---

[1] المرجع السابق

والثالوث، ثم أنه قد ذكر حقائق أخطأتها الأناجيل المعتمدة، حتى جاءت الدراسات المسيحية الحديثة لتؤكد صحتها(١).

إن إنجيل برنابا:(كتاب وعظ من الطراز الأول، وقد امتلأ بالحكم النفيسة، والأمثلة البديعة، والوصايا المشرقة المنيفة، اللائقة بنبي من أولي العزم من الرسل عيسى إبن مريم عليه السلام، الذي بعثه الله تعالى إلى أمة الغضب "يهود" وقد غشيتها ثقلة الطين، وغواية الهوى، وتمرد الطباع، فعدلت إلى المادة التي أعشت بصيرتها عن حقيقة الدار الفانية، فحالت بينها وبين إدراك الروحانية والمثل العليا، فأتاها الإنجيل العيسوي هداية وبشرى ورحمة ونورا مركزاً على جانب الزهديات والروحانيات وتجلية الحقائق، حقائق الإيمان والتوحيد وزجرهم عن حمأة الشرك، والتعلق بالدنيا آخذاً بيد من وفق منهم للسمو فوق الشهوات والعلو على الماديات، والتحرر من ربقة الذهب والفضة والحسد والبغضاء والظلم والكبر والشرك والكفر)(٢).

* **إنجيل يهوذا:** ما زالت المكتشفات تتواتر لتكشف الحقائق وتزيح الستار عما طمسته الكنيسة من عقيدة المسيح عليه السلام وتاريخ دعوته ومضامين رسالته فقد ذكرت صحيفة الواشنطن تايمز ٣ مقالاً بخصوص إنجيل يهوذا تحدثت فيه عن إزالة النقاب عن هذا المخطوط الأثري الذي عُثر عليه من أحد كهوف بني مزار بصعيد مصر، ويعود تاريخه إلى القرن الثالث الميلادي، وهذا الإنجيل يذكر صراحة مخاطبة المسيح ليهوذا قائلاً له: (إنه – أي يهوذا – سوف يختلف عن باقي الحواريين، وأنه سوف يكون الرجل الذي سيضحى به كشبيه لي، يلبس هيئتي أو يلبس ثوبي)... وكان بعض السلف يذكر – عن كتب بني إسرائيل – أن

---

(١) http: //www.eslam١٠٠.blogspot.com.p.١٠
(٢) المرجع السابق، صـ١٢
٣ (العدد الصادر في ٧/٤/٢٠٠٦م)

المسيح خاطب حوارييه وقال: "من يريد أن يلقى عليه شبهي، فيقتل ويكون رفيقي في الجنة، فتقدم أحدهم".

وهذا النص يقف دليلاً يؤكد قول الحق تبارك وتعالى:(... وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم...) سورة النساء الآية (١٥٧). وهي شهادة من هذا الإنجيل الذي كتب قبل الإسلام بنحو أربعه قرون ويشهد لصحة ما في القران العظيم وينقض العقيدة المسيحية التي تقوم عليها الكنيسة العامة من قواعدها. وهناك تناقصات بين الأناجيل المعتمدة والرسائل حول موت يهوذا الإسخريوطي، فبعضهم يزعم أنه انتحر وقتل نفسه وبعضهم يزعم أنه سقط على وجهه وأنشق من الوسط وانسكبت أمعاؤه كلها[١].

* **مخطوطات البحر الميت:** اكتشفت هذه المخطوطات عام ١٩٤٧م بعد ظهور واكتشاف مخطوطات نجع حمادي بسنتين وقد وجدت في كهوف قمران على هذا البحر، ولقد هز ظهور سائر الأوساط اليهودية والمسيحية.

ويظن أن هذه المخطوطات قد كتبت في الفترة ٢٠٠ ق.م – ٥٠م، وبعد أن بدأ الباحثون بحوثهم فيها ودراساتهم عليها، توقف نشرها فجأة لسبب مجهول، وتشير أصابع الاتهام في هذا تارة إلى الفاتيكان، وأخرى إلى الكنيس اليهودي، ولا شك أن الغرض من إخفائها من قبل اليهود هو إلغاء ديانة المسيح الحقه وطمس معالمها، والتوجه نحو بولس بوصفه مؤسس المسيحية، وأنه لم يأت قبله أحد، لا سيما وأن هناك تيار يهودي مسيحي أكاديمي يحاول هدم دعوة المسيح الأولى عن طريق التأكيد على أن المسيح عليه السلام مجرد أحد رجالات اليهود، ولم يأت بدعوه جديدة، وهذا المكر اليهودي طبيعي لدى قوم بُعث المسيح عليه السلام فيهم فلم يؤمنوا به، بل ظلوا ينتظرون ملكاً داؤودياً مخلصا لهم.

---

[١] انظر إنجيل متى:٥:٢٧، أعمال الرسل: ١٨:١

ولنا أن نتسأل هنا: أين الفاتيكان من كل هذا الإخفاء المتعمد لهذه المخطوطات؟ والجواب (أنه طالما أن أحداً لن يعارض سيادة الفاتيكان وسلطته وموارده، فلا مانع لدى الفاتيكان في تغيير ما جاء في الكتابات الأولى لدعاة المسيحية، أو على الأقل السكوت عن ذلك حتى لا تضطر لإجابة أسئلة لا تطيق الجواب عنها، كذلك الحال مع قادة البروتستانت والأرثوذكس و لتذهب الحقيقة بلسان حالهم ومقال بعضهم إلى الجحيم)[1]. ويؤكد ذلك نشر كتاب في لندن بعنوان (خداع مخطوطات البحر الميت) للكاتبين بيجنت وريتشارد لي، اتهما فيه الفاتيكان صراحة في عملية ترجمة ونشر مخطوطات قمران، ومحاولة إخفاء معلومات مهمة تحتويها لأنها مخالفة لتعاليم الكاثوليك.

كما أن الذي يدل على وجود شيء كبير وخطير حوته هذه المخطوطات أن رئيس اللجنة الكاثوليكية جون أسترو قد نقد اليهودية نقداً مباشراً بعد اطلاعه على هذه المخطوطات، بل لقد دعا اليهود صراحة للدخول في المسيحية، وما هي إلا أيام قلائل بعد ذلك الإعلان الذي كان عن طريق مقابلة تلفزيونية، حتى صدر قرار فصله من تلك اللجنة، ومنع الإعلام من التواصل معه، وخوفاً من تسريبه معلومات قابله للنشر فقد أدخل مستشفى للأمراض العقلية، بعدما أمضى خمسه وثلاثين عاماً في العمل على هذه المخطوطات!، ولقد – ثارت في هذه الأيام – القضية مرة أخرى حيث اكتشفت السلطات الأردنية[2] سرقه يهودية كانت قد تمت منذ خمسه سنوات من أحد الكهوف الأردنية، حيث وجد بعض المنقبين سبعين كتاباً نحاسياً مكتوباً باللغتين العبرية والأرامي، والذي يمثل تلك الحقبة الغامضة بل إنها كما قيل – تمثل جزءاً من أقدم الوثائق النحاسية، فهل سنرى فيها جديداً ، أم ستلحق بقائمة لفائف قمران؟!

---

(١) إبراهيم الدوميجي، (مدونة – كلنا نحب المسيح عليه السلام)aldumaiji، ١/٤/١٤٣٣هـ

٢ منتدى اليوم السابع – http://www.youm7.com- رئيس التحرير خالد صلاح





الفصل الثاني
التثليث وتطورات هامة في المسيحية
المبحث الأول: تسرُب الثالوث الوثني للمسيحية

ان دراسة تاريخ الأديان القديمة والوثنية وعقائدها تظهرنا على انتشار الثالوث المقدس في كثير من هذه الاديان، قال به المصريون القدماء وقال به الهنود كذلك وغيرهما، فهي نزعة دينية قديمة تركز على ثلاثة آلهة في أقنوم واحد هي: الآب والأبن والأم، فالثالوث المصري القديم كان مكوناً من " أوسيرى" ويسمى الأب أو الوالد، والإله " هور" ويسمى الابن أو النطق أو الكلمة، والآلهة " إيس" وتسمى الأم أو الوالدة ، وهذا الثالوث يشبه الثالوث المسيحي سواء في عدد الاقانيم أو في خاصية كل أقنوم منها.

أما الثالوث الهندي فهو مكون من " سامترى" اله الشمس ، ضابط الكل وخالق السموات والأرض، وابنه الوحيد " آني" اله النار، نور من نور، مولود غير مخلوق، و " فايو" أي الروح في بطن " مايا" العذراء، وهو الروح المحي المنبثق من الآب، والابن الذي هو مع الأب والأبن يسجد له ويمجده[1]، وليس بخاف مدى التشابه بين الثالوث الهندي والمسيحي، بل وبين قانون الإيمان في كل منهما[2]!

لقد تسرب ثالوث الوثنيات القديمة الى المسيحية المحدثة ليحتل مكان عقيدة التوحيد التي جاء بها المسيح عليه السلام، وبالرغم من استشراء عقيدة التثليث وذيوعها اثر اكتسابها صفة الاعتماد القانونية عبر المجامع الكنسية المختلفة، إلا إنها لم يكتب لها الانتصار الكامل على عقيدة التوحيد التي بعث بها ودعا لها المسيح عليه السلام، ليتحول المسيح

---

[1] محمد مجدي مرجان، " الله :واحد أم ثالوث " الإمام محمد أبو زهرة ، " الديانات القديمة " ص ٢١-٢٢

[2] - J.M.Macfie, MR " Mythes and Legends of india" Ruba, Co,New delhi. ١٩٩٤

عليه السلام في هذه العقيدة إلى ابن لله، " تعالى الله عما يقولون"، ولكن ما هو مصدر ابن الله التي وسم بها المسيح عليه السلام؟

- مصدر لقب " ابن الله":
- في ختام إنجيل يوحنا " الإنجيل الرابع – في فقرته الخامسة والعشرين من الإصحاح الواحد بعد العشرين نقرأ : " ....وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع، ان كتبت واحدة واحدة ، فلست أظن ان العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة"، ونقرأ كذلك، " ..آيات اخرى كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه، لم تكتب في هذا الكتاب، و أما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو " ابن الله" ولكي تكون اذا آمنتم حياة باسمه[١].

إن الدراسة التحليلية للعبارات الإنجيلية المذكورة هنا – وغيرها كثير- تطلعنا على ملاحظات هامة وأساسية تتعلق بالتصور المسيحي الإنجيلي لمفهوم النبوة وما يتعلق بها من وحي ومعجزات.

الملاحظة الأولى:

أن الإنجيليين قد أضافوا على معجزات المسيح عليه السلام واكثروا فيها على نحو يجعل المعجزة تخرج عندهم من معانيها الحقيقية باعتبارها امر خارق للعادة ، قابل للتحدي، خال من المعارضة، تحدث ليؤيد الله بها نبيه فيما يدعوا إليه، وآية صدق على نبوته، إلى عمل عادي يؤديه المسيح أنى شاء، فيشفى آلاف المرضى، ويصيب الله أعدادا كبيرة بالعمى فيهبهم المسيح نعمة البصر، ويحي الكثير من الموتى.

والملاحظة الثانية:

وهي أهم هذه الملاحظات، وتتعلق بذلك الاتجاه الذي ساد فكر الأناجيل متجلياً بوضوح عند يوحنا، وهو الارتكاز الكامل على معجزات

---

[١]انجيل يوحنا ، ٢:٣٠ -٣١ ، ٢:١٠ ، ١١، ٢١:٢٥

المسيح واتخاذها قاعدة للقول بأن المسيح هو " ابن الله " فهم يعتقدون ان خوارق العادات التي جرت على يديه مما يعجز البشر عن الاتيان بمثله تدل على انه ليس أنساناً عادياً، بل هو اله او ابن اله أو بعض اله نزل من السماء إلى الأرض ليعرض على الناس قدرات الاله!

والملاحظة الثالثة:

هي أن معجزاته عليه السلام لم تكن وسيلته الوحيدة أو المثلى لإقناع الناس، وآية ذلك من الإنجيل نفسه، الذي يظهر المسيح دائماً وهو يحاول إخفاء ما يجرى على يديه عن معاصريه ومشاهديه.

يقول بترسون سميث P.Smith إن المسيح لم يكن قصده في صنعها – أي المعجزات – إكراه القوم على الإيمان به ، ولكنه استخدم القوة الإلهية بالأكثر للترويح عن الناس وإسعادهم [١]، بينما يقول ول ديورانت محاولاً إظهار الضعف الإنساني للمسيح حين تجرى المعجزات على يديه لإقناع الناس القساة العصاة يقول: " ويبدو ان عيسى نفسه كان يحس بخور نفساني بعد ان يقوم بمعجزات، وانه كان يحاولها وهو كاره"، وهو قول لا يسنده دليل، بل هو نوع من الفهم الغربي –التفسير السايكلوجي – لحقيقة النبوة ومتعلقاتها باعتبارها تعبير عن قوة ذاتية، واظهار لطاقات غير عادية في الشخصية النبوية، وهو تصور يثبت بطلانه بأدلة علم النفس المعاصر فضلاً عن الأدلة العقيدية[٢].

فاذا عدنا إلى لقب " ابن الله" " تعالى الله " والذي يذكره إنجيل يوحنا في العبارات السالف ذكرها – فان الدراسات النقدية واللاهوتية الحديثة والمعاصرة – تؤكد كما يقول شارل جينيبير: " إن عيسى.. لم

---

(١) القس صموئيل مشرقي ، حقيقة المسيح ، ص ٤٦ ، دار العالم العربي، القاهرة ، ١٩٩٠م.

(٢) وحيد الدين خان ، الإسلام يتحدى ، ص ٣٤ ، ١٠٧، تعريب ظفر الإسلام خان ، دار البحوث العلمية ١٩٧٣م.

يقل عن نفسه قط انه ابن اله، و ذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل – بالنسبة لليهود – سوي خطأ لغوى فاحش، وضرب من ضروب السفه في الدين، كذلك لا يسمح لنا أي نص من نصوص الأناجيل بأطلاق تعبير " ابن الله " على عيسى، فتلك لغة لم يبدأ استخدامها سوي المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، التي استخدمها القديس بولسst paul، كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع –يوحنا – ولو أراد – أي المسيح – لقباً لأتخذ لقب " ابن داؤود" المعروف بين بني إسرائيل – والذين كانوا يعتبرونه لقب " المنقذ المنتظر" ولكنه لم يفعل[١].

أما لقب " ابن الإنسان" : فقد كان لقباً شائعاً، إلا أن الأناجيل تقدمه كتعبير عن أخص خصائص شخصية المسيح ورسالته، و مع ذلك فالمسيح نفسه عليه السلام لم يستخدمه بمعنى المنقذ المنتظر المسيح الموعود به، لقد كان اليهود في ذلك العصر يجهلون تماماً هذا المعنى لتعبير ابن الإنسان ولابد هنا من ضرورة التفريق والتمييز بين المصطلح المسيحي في الاستخدامات الإنجيلية واللاهوتية والمسيحانية Christology، وبين استخدام وشيوع المصطلح نفسه في الوسط الديني والثقافي اليهودي في عصر المسيح و ما قبل هذا العصر، ولتوضيح ذلك نقول:

إن القاباً مثل: المسيح، الرب، ابن الله، صورة الله ومجده وغيرها ألقاباً ومصطلحات تعني أصلاً اشخاصاً أو أشياء أعلن الله نفسه فيها، أو بواسطتها، هذا في الفهم الديني اليهودي، فلقب ابن الله مثلاً أطلق على اسرائيل نفسها، وعلى ملك إسرائيل كتعبير عن أن هؤلاء كانوا على درجة من الطاعة تسمح بوصفهم بهذا الوصف المجازي.

إلا ان هذه الألقاب المجازية اليهودية عُبئت في المسيحية بمعان عقيدية ومعرفية جديدة، كان من المستحيل على الوسط الديني اليهودي أن يعيها أو يدرك معانيها ومقاصدها في استخداماتها الجديدة.

---

[١] شارل جنيبير ، المسيحية نشأتها وتطورها ، ص ٥٠-٥١




بل أن علماء اللاهوت أنفسهم يقررون ذلك، الامر الذي جعلهم يقولون: " يجب أن نعلم ان هذه الاصطلاحات ليست قوالب جامدة لا يمكن ان تتغير، ولكنها تتغير إلى معنى أكثر تطوراً من المعنى السابق، وهذا يحدث بالضرورة عندما يعلن شيء جديد....".

ولقد حدث هذا التغيير في هذه الالفاظ مثلاً عندما جاء السيد – المسيح –فمع ان الكنيسة الاولى عبرت عن رأيها في هذه المصطلحات التى أخذتها من العهد القديم الا أنها وضعت فيها خبرتها الجديدة في سيدها، فأطلقت هذه المصطلحات : ابن الله ، والمسيح الرب، وغير ذلك، ولكنها أحدثت في معناها تطويراً جديداً"[1].

[1] القس د. فهيم عزيز، الفكر اللاهوتي في رسائل القديس بولس، ص ١٢٨ ، دار الثقافة المصرية ، مصر ١٩٧٧م

المبحث الثاني: تطورات هامة في المسيحية:

لقد صارت نبوة المسيح لله معنى حقيقياً، ولم تعد معنى مجازياً كأطلاق لقب " ابن الله " على الإسرائيلي البار يشوع بن سيراخ، أو أطلاقه على شعب أو ملك إسرائيل، وصارت نبوة المسيح لله أساساً لنبوة المؤمن من كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله ، ثم صار ابن الله ابنا أزلياً ،وتعبيراً عن المركز السامي للمسيح وأزليته، " الذي هو قبل كل شيء –المسيح ابن الله – وفيه يقوم الكل".

وقبل هذا وبعده: كان التحول الكبير في أصل النبوة: فلم يعد المسيح رسول الله إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، بل صار هو كابن لله، الموضوع الرئيسي للإيمان، وصار هو مضمون الإنجيل أي البشارة.

وما يجب علينا التنويه إليه هنا هو أن بولس – شاؤول – مؤسس المسيحية الحالية هو المسئول عن هذه التحولات الكبرى التي أحدثها في مسيحية المسيح، منطلقا من مفاهيم والقاب كانت شائعة ومعروفة ولها دلالتها العقيدية والفكرية الواضحة في بيئتها اليهودية الأولى، فأعاد صياغتها في ثوب مسيحي جديد بعد مزجها مزجاً تاماً بالأفكار الهللينية وآثار العقائد الشرقية والغربية.

وبالرغم من ذلك، فإن كتّاب الأناجيل لا يستخدمون هذا اللقب – ابن الله – كثيراً فيما عدا الرسول بولس، وكاتب العبرانيين ورسالتي يوحنا الأولى والثانية، وما سوى ذلك من كتابات متوسطة يندر تماماً استخدام هذا اللقب بينما استخدمه بولس في كتاباته اربع مرات، واستخدم " ابنه" احد عشرة مرة، واستخدم " الابن " مرتين[١].

---

[١] القس د. فهيم عزيز ، الفكر اللاهوتي في رسائل القديس بولس ، ص ٢٩

تطورات هامة:

يمكننا أن نقول ان العقائد المسيحية قد مرت بتطورات هامة عبر مراحل أربعة:

المرحلة الأولى: هي التي تتمثل في عقيدة المسيح عليه السلام التي تقوم على التوحيد الخالص وأنه رسول الله إلى بني إسرائيل، وقد سبقت الإشارة إليها.

المرحلة الثانية: هي إيمان الحواريين الاثني عشر حتى بدايات القرن الرابع الميلادي – على نحو ما أخذوها مباشرة من المسيح عليه السلام.

لقد كانت هذه الجماعة جماعة يهودية نشأت في بيئة يهودية صرفة وتشير كل الدلائل إلى تعصبهم لبني جلدتهم من اليهود.

ولقد آمن الحواريون بعيسى ابن مريم ونصروه كنبي مرسل لليهود خاصة، ولقد كان المسيح عندهم هو" ابن الإنسان" ولم يكونوا ليوافقوا قط على وصف المسيح " ابن الله" وكان الحواريون يدعون المسيح: ربي، والرب، هنا معناها المعلم والهادي، .. ولم تكن الجماعة المسيحية الأولى تفترق عن الجماعات اليهودية الأخرى التي تكونت من مجموعات اليهودية الأتقياء، إلا في إيمانهم بان عيسى بن مريم قد شرفه الله وجعله مسيحاً، وأنه قد تحققت به الآمال.

وسرعان ما انفرط عقد هذه الجماعة الذين كانوا كما يقول عالم اللاهوت جينيبير[1]: يهود سذجاً بسطاء، ليس لهم شأن في قومهم، ولا يمتازون بثقافة كبيرة .. واقتصر طموحهم في دفع الخراف الضالة من بيت إسرائيل نحو طريق النجاة ... وكانت فكرة تبشير الوثنيين بعيدة

---

[1] شارل جينيير المسيحية نشأتها وتطورها ص ٧٦





كل البعد عن عقولهم، بل كان ضرب من ضروب المستحيل أن يتصوروا إمكانية انتشار الإنجيل بين رجال لم يؤمنوا بالعقيدة اليهودية من قبل. [١]

المرحلة الثالثة: إيمان المسيحيين الهللينيين: حيث كان انفراط عقد الجماعة المسيحية الأولى كجماعة يهودية صرفة، قد جاء تحت تأثير عوامل قاهرة.

كان أهمها دخول عناصر اجنبيه تماما عن الروح المسيحية الأصلية، وهم من سمتهم مجموعة أعمال الرسل المعتمدة بالعهد الجديد " الهللينيين" وهم في الغالب عند العلماء زمرة اليهود الذين أقاموا بمختلف البلاد اليونانية، وعلى الأخص من يهود المهجر الذين كانوا يتمتعون اكثر من اليهود الآخرين، بالمرونة في استقبال الأفكار الجديدة، وقد اعتنقت جماعات منهم المسيحية بعدما استمعوا لاحاديث أصحاب عيسى ، لكنهم لم يتخلوا – في ا لوقت نفسه – عن روح المرونة والتجديد.

هذه الروح هي التي قادت الجماعة الجديدة إلى التساهل الفكري في تعاملهم مع ا لشريعة اليهودية وساعد على ذلك نمو الاتجاهات نحو إعمال الفكر والمنطق في رسالة عيسى وشخصيته، والذهاب بهما إلى ابعد مما كان يتصوره أصحاب عيسى أنفسهم.

وكان هؤلاء الهللينستيون[٢] هم أول المبشرين في البلاد الوثنية [٣] في قبرص وفينيقيا و انطاكية التي شهدت مولد الكنيسة وإنشاء أول مركز

---

[١] انظر كذلك جون هيك، أستاذ اللاهوت بجامعة برمنجهام ، بريطانيا ، كتاب " أسطورة الاله المتجسد في السيد المسيح" ترجمة نبيل صبحي ، دار القلم، الكويت، ١٩٨٥م

[٢] أستحدث مصطلح الهلنستية المؤرخ يوهان جوستاف دريزن في منتصف القرن التاسع عشر للإشارة إلى الفترة التي انتشرت فيها الثقافة اليونانية في العالم غير اليوناني بعد غزو الإسكندر.

[٣] لقد كان اقتصار الحواريين والتلاميذ على التبشير بالمسيحية بين بني جلدتهم من اليهود فقط هو تنفيذ والتزام صارم بأوامر المسيح الذي قال لهم: إلى طريق أمم لا

للتبشير المسيحي الأول، و أهم ما تميزت بـه هـذه الكنيسـة الأولـى أنهـا تخلصت من صلتها باليهودية.

ويبدوا أن كلمة أو صفة " المسيحيين" التي أطلقت حينئـذ لأول مرة على أعضاء هذه الكنيسة من جانب المشـركين، تـدل علـى ان عامـة الناس في المدينة ميزوا تمييزاً واضـحاً بيـنهم وبـين الطائفـة اليهوديـة الأصلية، ثم قامت هـذه الجماعـة بتشـكيل جماعـات مسـتقلة ذاتيـاً، كمـا افترقوا عنها بإخضاع التعاليم اليهودية الصحيحة لمقتضيات عقيدة الأمـل المسيحية ، إذ وضعوا شخصية المسيح في المقام الأول من دينهم"[١].

تمضوا والى مدينة للسامرين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري الى خراف بني اسرائيل الضالة، متى: ١٠: ٥-٦، وعلى هذا فإن التبشير بالنصرانية بين المسلمين والوثنيين إقامة مراكز التنصير في أوساطهم هو مخالفة صريحة لوصية المسيح عليه السلام ، ومن هنا كانت النتيجة الحتمية للتبشير الذي أرتبط فيما بعد بالسياسات التوسعية للاستعمار الغربي ، هو الفشل.

[١] شارل جينيبير ، المرجع السابق ، ص ١١٤-١١٦ ، بتصرف

المبحث الثالث: الإسخاتولوجي والخيريوس:

لقد صار كل شيء جديداً ، والجديد هو اصطلاح " الاسخاتولوجي"* ليشمل كل شئ في العلاقة بين الله والإنسان والموقف البشري والحياة كلها[١].

لقد شهدت البيئة الخارجية – خاصة بيئة أنطاكيا- حيث كثر المؤمنون بعيسى عليه السلام، والذين ألقوا عليه أعظم الآمال، وإن لم يروه، شهدت توالد الأفكار الجديدة والتصورات المحدثة التي شقت طريقها نحو صلب المسيحية وعقيدتها، كما جاءت على يد عيسى عليه السلام كمسيح ليرتفعوا الى مفهوم أوسع و أعم، مفهوم يقترن بلقب " سيد " Lord، هذا اللقب الذي نجده في جميع أسفار العهد الجديد ذات الأصل الهلليني " اليوناني وهو خيرويوس Kyrios الذي لقب به عيسى عليه السلام.

أن أهمية هذا اللقب تبدوا في الأبعاد التي أضافها القديس بولس، يقول شارل جينيبير: "ويبدو ان الاسم العبادي المقدس في العهد القديم ، ذلك الاسم الذي يهيمن على الشعائر كلها في معبد القدس الأكبر والذي لاشك انه تحول لصالح الـ " خيريوس " الجديد ذلك هو " يهوه" نفسه الذي كان يعلن قديماً: " سوف يركع الجميع أمامي" والظاهر هنا أن " يهوه" قد تنازل عن سلطانه لصالح عيسى عليه السلام""[٢].

إن أهم ما يسترعي انتباهنا فيما يتعلق بموضوع " الخيريوس" في الديانات القديمة أنها كانت تطلق فقط على الآلهة " المنقذين " في آسيا

---

[١] القس: د:فهيم عزيز الفكر اللاهوتي في قديس بولس ص ٢٢٦

*)يعرف وايتلي whiteley، الاشماتولوجي بقوله " هو التعليم عن الأشياء الأخيرة ، ويتضمن العقيدة الخاصة بنهاية العالم ، ومجيئ المسيا والفوائد المختصة بمصير الأفراد الذين يموتون قبل نهاية العالم،والعقيدة المختصة بالسماء والجحيم وكل لاهوت بولس وفكره هو في اطار اسخاتولوجي".

[٢] شارل جينيبير ، المرجع السابق ، ص١١٧.

الصغرى، ومصر والشام، عندما يتناولهم الحديث باليونانية، و ذلك في مقابل المرادف اللاتيني " دومينوس" الذي كان يطلق عند اليونان على الآلهة التقليديين.

وما يجب الإشارة إليه هنا هو أن المسيحية التي نشأت وترعرعت في رحاب الإيمان اليوناني، وبيئته الدينية كانت تأخذ بصورة الإيمان بالسيد، او تعبد للسيد، لاسيما اذا علمنا أن كلمة " خيريوس" اليونانية كان يستخدمها العبيد في المجتمع اليوناني لبيان ولائهم لسادتهم، وهي هنا في المسيحية المتهللنة –اي الهللينية – توضح العلاقة بين عبيد المسيح والمسيح نفسه [١]، هذا في الوقت الذي ظل فيه اليهود من أهل الجليل، ونعنى بهم أصحاب عيسى عليه السلام ظلوا على تمسكهم بالإيمان بعيسى كما بعث بين ظهرانيهم، وكانت علاقاتهم قائمة ودائمة مع المعابد اليهودية مع احترام وتوقير شعائرها.

وعلى هذا نرى كيف تحولت العقائد المسيحية الأولى وعلى رأسها النبوة من رسالة نبي من البشر لقوم بعينهم إلى منقذ الهي، ومن إيمان المسيحيين الأوائل البسيط إلى الإيمان بأسطورة من أساطير الديانات القديمة، هي أسطورة موت وبعث الاله من اجل رعاياه، يقول بولس: " إن المسيح مات من أجل خطايانا ، حسب ما قدر له في النصوص المقدسة " و هكذا تحل النبوة في المسيحية المحدثة محل الألوهية، ويحتل النبي المرسل مكانة الله، لنفاجأ بديانة قد صارت نحلة أقرب ما تكون للمذاهب الوضعية ، ومع ذلك لا صلة لها بمسيحية المسيح وعقيدته و تعاليمه اللهم إلا الاسم، وفكرة المسيح نفسها.

إن هذا ما آلت إليه المسيحية المحدثة من ارتياد آفاق جديدة والتي قادت إلى انتحال مفاهيم عقيدية جديدة من المؤكد أن المسيح عليه السلام لو علم بها لنقضها جميعاً، وانكرها إنكاراً تاماً، لاسيما بعد ما آلت إليه عقب المرحلة الرابعة لهذه التطورات.

---

[١]انظر الرسالة الأولى إلى أهل كورينثيا : ٢٢:٢٧

المرحلة الرابعة: وهي مرحلة القديس بولس St. Paulالمؤسس الحقيقي للمسيحية الحاضرة بشهادة علمائها ، فمن هو بولس؟ إنه يجيبنا على ذلك بقوله: " أنا يهودي فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة الأموات ، سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية ، اني كنت اضطهد كنيسة الله بإفراط واتلفها، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي من جنسي، إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي[١].

أما موقفه من المسيحية في بداية عهدها – كما افصح عن ذلك – فقد كان شديد المقت لها، يصب نقمته على اتباعها مستخدماً ابشع الأساليب القمعية، يصف لوقا موقفه في أعمال الرسل بقوله: " وكان شاول –بولس- راضياً بقتل المسيحيين وكان يسطو على الكنيسة، ويدخل البيوت، ويجر رجالاً ونساءاً ويسلمهم إلى السجن، ولم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق، وإلى الجماعات حتى اذا وجد أناساً في الطريق رجالاً ونساءاً يسلمهم إلى أورشليم[٢].

لم يلتق بولس بالمسيح عليه السلام، ولم يعرفه، وهو على اضطهاده المقيت هذا للمسيحية واتباعها، يعلن تحوله المفاجئ –دون اية مقدمات تجعل تحوله اقرب إلى منطق الأشياء، وطبيعة التحولات النفسية لدى الإنسان، فيتحول من معاد للمسيحية، مضطهد لاتباعها، إلى مؤمن بها، مناصر لها، وداع باسمها في الأمصار، وقصة تحوله المفاجئ إلى المسيحية، وشك التلاميذ الأوائل فيه، ورفضهم لقصته ودفاع برنابا ويوحنا عنه، يجدها القارئ في الإصحاح التاسع من أعمال الرسل للوقا، والذي وردت فيه عبارة عن بولس غيرت وجه التاريخ وهي: " وللوقت جعل يكرر – في

---

[١]أعمال الرسل، ٦:٧٣

[٢]أعمال الرسل للوقا: ٧
٧: ٦٠ ، ٨: ٣ ، ٩ : ٢





المجامع- بالمسيح، أن هذا هو " ابن اللّه " هذه العبارة التي غيرت صلب العقيدة النصرانية في المسيح وفي تصور مفهومي الألوهية والنبوة[١].

دلف بولس إلى المسيحية محاطاً بكثير من الشك والريبة والحذر من الحواريين والتلاميذ، غير انه عرف نقاط ضعفهم، فأعلن أنه ليس بحاجة لأحد، فهو مكلف من قبل المسيح ويتلقى تعاليمه منه مباشرة، بإرادة المسيح نفسه، فلم يدع لهم مجالاً لانتقاده بادعاءاته هذه.

فوجد بذلك أرضا خصبة لزراعة مسيحيته الجديدة، فأقامها على فكرة المسيح، وألفها من أمشاج شتى، بعضاً من التعاليم اليهودية ليجذب إليها العامة من اليهود، ثم جملة من عناصر وأفكار ووثنيات الديانات القديمة كالميثرية واليونانية، والديانات الشرقية، وعبارات رسائله الكثيرة تفصح عن ذلك حين يقدم أفكارا شاعت في تلكم الديانات كالمنقذ الإلهي، والسيد lord والبطل الذي يضحي بنفسه كفارة عن خطايا رعاياه، وهي عبارات تقوم في الديانات القديمة على فكرة تقديم الذبائح وسفك الدماء إرضاء للآلهة واسترضاءاً لها.

كما حوت مسيحيته جملة من المبادئ والأفكار التي روجت لها الفلسفة اليونانية ليجذب إليها مثقفي اليونان ، فاخذ بشيء من فلسفة فيلو على سبيل المثال وهي فكرة الاتصال بين الله والأرض عن طريق الكلمة the logos أو عن طريق ابن الله sun of God او بواسطة الروح القدس by the holy ghost spirit.

ولسنا هنا بالطبع بصدد دراسة تحليلية او نقدية لتاريخ بولس وعناصر ثقافته وتوجهاته الفكرية والعقيدية، بمقدار ما نود إبراز مقدار الدور ومداه الذي لعبه شاؤول –بولس – في إخراج المسيحية التي بعث بها المسيح عليه السلام عن أصولها وتعاليمها ومنهجها إلى مسيحية جديدة تعج بالوثنيات القديمة والفلسفة الغامضة والأفكار المبهمة، وتعبر

[١] د.. احمد شلبي ، ص ، ٤٩، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٨م

عن مجتمعات هجينة الثقافة تمتزج فيها العقائد بالأساطير والخرافات والفلسفات، لكي تتحول المسيحية من بعد ذلك من التوحيد الخالص إلى التثليث العجيب.

مسيحية القديس بولس:

بالرغم من المقت والاضطهاد الذي عاني منه المسيحيون الأوائل على يد بولس إلا انه لم ينجح تماماً في القضاء عليها، فتظاهر باعتناق المسيحية ليستطيع من داخلها أن يحولها عن مسارها الحقيقي ورسالتها السامية مركزاً على قضيتين:

الأولى: تاليه المسيح حيث يعلن في اليهود والنصارى انه المسيح الكائن على الكل، إلهاً مباركاً إلى الأبد[1].

والثانية: إلغاء العمل بالتوراة بدعوى أنه لا فائدة من ذلك، فيعلنها صراحة: " إن كنتم قد رمتم مع المسيح عن أركان العالم، فلماذا كأنكم عائشون في العالم تفرض عليكم فرائض ... لا تمس .. ولا تذق .. ولا تجس.... التي هي جميعها إلى الفناء في الاستعمال حسب الوصايا وتعليم الناس".[2] ثم شدد على إلغاء أحكام التوراة فقال: " لا يحكم عليكم احد في أكل أو شرب، او من جهة عيد أو هلال أو سبت التي هي ظل الأمور العتيدة " [3]، وقال عن المسيح انه " مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض" [4]، وقال للعبرانيين: " لأنه إن تغير الكهنوت فبالضرورة يصير تغير الناموس أيضاً" [5]، والناموس هو شريعة موسى عليه السلام.

(١) رومية ٩:٥
(٢) كولوسي ، ٢:٢ -٢٢
(٣) كولوسي ، ١٦:٢ -١٧
(٤) اقسس: ١٤:٢ -١٥
(٥) عبرانيين : ١٢:٧




فكان بولس بذلك هو أول من أعلن لاهوت المسيح، وأول من ألغي شريعة موسى عليه السلام، ويكفي جملته التى صرح بها " إن هـذا هـو ابـن الله" ليتبين لكل ذي بصيرة مدى ما أحدثه بـولس مـن تحـول فـي مسـيحية المسيح.

أُلقي بولس بفكرة أُلوهية المسيح، فأخرجته عن بشريته، فجعل مع الله إلها آخر هو المسيح، بل وإله ثالث هو الروح المقدس، فصار التوحيد تثليثاً، وتحول ناسوت المسيح إلى لاهوت، وهكذا برزت المسيحية المثلثة على يد بولس بالرغم من أنها لم تكن قط معروفة فـي بيئـة الحـواريين والتلاميذ الأوائل ويهود الجليل الذين بعث بـين ظهـرانهم المسـيح عليـه السلام.

لقد كانت فكـرة بيئـة تلاقحـت فيهـا التيـارات الدينيـة الوثنيـة والأسطورية والفلسفات الهللينية ومعتقدات الشرق القديم وحكمه الغامضة التقطها بولس ثم ألبسها المسيح معلنـاً أنـه " فيـه يحـل مـلء اللاهـوت جسدياً"[(١)].

[(١)] كولوس : ٢:٩





المبحث الرابع: المعتقدات المسيحية المحدثة

إن أحدث الدراسات اللاهوتية theological studies التي قامت بها د. فرنسيس يونغ Dr. F. youg وقدمت فيها دراسة تفصيلية للتاريخ اليوناني الوثني القديم حول قصص وأساطير الآلهة وروايات عن أناس ادعوا النبوة في فلسطين، وهذه الدراسات تقول: إن كلمات مثل: أنا الله، او ابن الله، أو الروح الإلهية ...الخ، كانت تتردد في هذه الأوساط القديمة، وتقول د. يونغ، أن ثقافة الناس في تلك المناطق كانت تتقبل فكرة آلهة بشكل إنسان، أو تحول الإنسان إلى الآلهة، فعملية " التأليه" في رأينها مستلهم كلياً من الوثنية، ثم تتحدث د. يونغ عن عبادة الحكام والأباطرة التي كانت شائعة أيضاً فتقول: أنها موازية لما استعمل من القاب يسوع، وتنتهي بعد تنتقيحات تاريخية بارعة إلى وقائع وأسماء تشير الى أن اليهودية الهللينية تأثرت بالأساطير الوثنية اليونانية، وان الطوائف السامرية سهلت بأفكارها التحول الهلليني في الأفكار اليهودية و أنهم – جزئياً- على الأقل قناة التأثيرات في الكنيسة المبكرة والتي أدخلت الحلول والتجسد incarnation وأدخلت كذلك التثليث trinity والتالية في المسيحية[١].

ويعلق دون كوبيت Don cappit على وثنية المعتقدات المسيحية المحدثة فيما يتعلق بفكرة التجسد التي نتجت عن تاليه المسيح، حيث تجسد الله فيه، ونزل إلى الأرض – كما يزعمون- في جسده، يعلن قائلاً: "إذا كان الأمر في التجسد هو ان الله نفسه اتخذ صورة طبيعية بشرية، ويمكن وصفه – شرعياً- انه اله في شكل إنسان، يمكن إذن ادراك الألوهية بهيئة تركيب بشري، وتعود هكذا فكرة الوثنيين عن الاله على انه شخص معين، ذو جنس معين فوق مستوى البشر، ثم يضيف: إن مقياس التدين الصحيح بمفهومه الحقيقي يتطلب إلا تصبح دراسة شخصية المسيح نوعاً من مذهب عبادة الإنسان للإنسان، إذ يجب التركيز على الله، وليس

---

[١] د.فرنسيس يونغ ، محاضر في دراسات الأناجيل ، جامعة برمنجهام ، بريطانيا




على المسيح[١]، وهو مالا يسمح به – في رأينا – القول والاعتقاد بالتجسد فاذا كان الله – فيما ترى النصرانية المحدثة – ذاته متجسد كلياً في المسيح فعبادة يسوع المسيح مباشرة تصبح لا خطأ فيها! لقد طور بولس فكرة المسيح بتأليهه على نحو يتسق تماما مع فكرة المنقذ الإلهي، التي كانت واسعة الانتشار والشيوع في الديانات القديمة لاسيما في البيئة السورية حيث مدينة طرطوس التي نشأ بها بولس، فكأنه إذن أعاد صياغة فكرة قديمة بإلباسها ثوباً مسيحياً جديداً.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، أخذ بولس عن الحياة الرومانية توزيع السلطات بين الأقانيم الثلاثة وهي التي تتبعها الكنائس، فالأب عند المسيحيين هو الذات الأهلية، وحدها مجردة من صفتي الكلمة والحياة، وهي بمنزلة الأصل و المبدأ principal لوجود الابن، يقول الفيلسوف المسيحي الشهير القديس توماس الاكويني st. Aquinas[٢] "إنه مصطلح لاهوتي لا يعني إلا أن الأب مبدأ الابن، كالذات تكون مبدأ الصفات، والا فان الابن موجود منذ ما يوجد الأب، وليس لأحد منهما سابقة زمنية على الآخر".[٣]

والمراد من الابن عند المسيحية كلمة الله word of god، وكلمة الله عند توماس الاكويني – هي جوهر له وجود في ماهية الله ، فيقال له " الابن" حقيقة لا مجازاً[٤]، وأما مبدؤها فيقال له الاب كما سلف.

---

(١) أ.د. جون هيك وأخرون "أسطورة الاله المتجسد في السيد المسيح " ط١ /ص١٥ تعريب: د نبيل صبحي/دار القلم /الكويت

(٢)انظر د:يوسف كرم تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط دار القلم /بيروت / لبنان ١٩٧٩

(٣) basic writings of st: Thomas aquinas “edited by pegis . p ١٩٤٥ new york ٣٢٦-٣٢٤

(٤)محمد تقي الدين العثماني، " ما هي النصرانية " ص٣٨ مطابع رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، ١٩٨٢م




وبالكلمة وجد كل شيء –عندهم – وهي قديمة خالدة، قدم وخلود الأب و هذه الصفة الإلهية هي التي تجسدت في الأقنوم، الإنساني ليسوع المسيح، ومن ثم يقال له " ابن الله " اما الروح القدس the holy spirit فهي مثل الأب والابن قديمة خالدة و من ثم فهي كما يقول اكبر فلاسفة المسيحية القديس اوغسطين St. Augustin هي أقنوم مستقلperson [١] وهي تمثل صفتا الحياة والحب للاب والابن.

وهكذا رأينا كيف انقلب التوحيد إلى تثليث، فكان من الطبيعي أن تصطدم هذه العقيدة بصرامة التوحيد اليهودي، كما كان نتاج ذلك محاولات التوفيق العجيبة التي انتهت إلى التوحيد في التثليث، اي الله يشتمل على ثلاثة أقاليم أو أشخاص persons، الذات الإلهية التي تسمى " الأب " وكلمة الله التي تسمى " الابن" وفقاً لحياته وحبه وتسميان " الروح القدس"، وكل من هذه الثلاثة إله، غير أنها بالمجموع ليست ثلاثة آلهة، وإنما إله واحد[٢].

إن تعاليم بولس وأفكاره المنتحلة هي تحريف وانحراف بفكرة المسيح ونبوته ورسالته وعقيدته، والمسيحية الحاضرة مدينة في أفكارها ومبادئها لبولس، ومن قبله يهود المهجر لاسيما في المدن اليهودية والرومانية ، ثم المجامع الكنسية، تلك البدعة الكهنوتية التي نصبت من نفسها سلطة إلهية تقرر العقائد والكتب، و تحدد التعاليم وترسم معالم

---

[١] st:Augustine "the city of God" vo.٢ p ١٦٨

[٢] يقول بروفيسور : موريس ريلتون –عالم مسيحي كبير- يقول في شان الله " تحليل حقيقته تحليلاً صحيحاً فوق أذهاننا" فما هو نفسه ؟ لا نعلم ، وما علمنا إلا ما علمه هو لنا عن النوع البشري عن طريق الوحي، فلابد ان يخبرنا الله بما يتعلق بوجوده ، وبما يجب الإيمان به بالبلاغ والتبيين منه للناس عن طريق الوحي. فلو كان التثليث المزعوم من تفاصيل هذا الوجود لكان من الواجب على سيدنا عيسى تبليغه للناس ، إلا أن عيسى لم يتناول هذه العقيدة قط، ولو لمرة واحدة في حياته ، لقد كان محور عقيدته التوحيد.
انظر H.mourice reliton "studies in christian doctrine"




الطقوس والشعائر، وكلها انتحال وتحريف على المسيح عليه السلام ورسالته[١].

يقول مايكل هارت M.Heart في كتابه " قائمة بأعظم الناس أثراً في التاريخ" إن المسيحية لم يؤسسها شخص واحد، وإنما أقامها اثنان : المسيح وبولس، فالمسيح قد أرسي المبادئ الأخلاقية للمسيحية، و كذلك نظرتها الروحية، وما يتعلق بالسلوك الإنساني، أما مبادئ اللاهوت فهي من صنع بولس، وليس من المنطق في شيء أن يكون المسيح نفسه مسئولاً عما أضافته الكنيسة ورجالها إلى الديانة المسيحية، فكثيراً مما أضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه، وأولها بنوته لله وتأليه ، والتثليث القائل بالاقانيم الثلاث.

---

[١] أنظر كذلك ٧٨ p ١٩٨٦ "paul and invention of christianity,london Hyam Maccoby " the Myth Maker





الخاتمة

وهكذا انتهى بنا البحث إلى التأكيد على أن المسيحية الأولى كانت تقوم على عقيدة التوحيد الخالص الذي دعا له عيسى عليه السلام و سائر أنبياء الله و رسله الكرام. وأن فكرة تأليه المسيح والثالوث المقدس هي فكرة دخيلة و استلاب لعقائد الوثنية الرومانية وغيرها من عقائد الديانات القديمة، ولقد دل على ذلك جملة الأفكار والمبادئ والعبارات التوحيدية التي وجدناها متناثرة بين ثنايا أسفار العهد الجديد والتي تمثل بقايا وحي الإنجيل الذي تنزل على عيسى عليه السلام، كما دلتنا عليها الوثائق و المخطوطات والأناجيل التوحيدية التي تم اكتشافها في الآونة الأخيرة والتي تحمل حقيقة المسيحية الأولى و إنجيلها.

نتائج البحث:

١/ إننا نجد أصول ومعالم الفكر التوحيدي في الأناجيل التي أقرها مجمع نيقية والمتداولة بين النصارى اليوم، مما يعتبر بقايا من وحي الإنجيل الذي تنزل على عيسى عليه السلام.

٢/ هناك الكثير من الأناجيل التوحيدية والمخطوطات والوثائق التي تدعم أصالة التوحيد في المسيحية الأولى والتي أدى اكتشافها والإعلان عنها إلى انقلاب كبير في المسيحية التقليدية المثلثة التي أقرها مجمع نيقية والمجامع اللاحقة عليه وقد ذكرنا بعضها في البحث.

٣/ لقد كانت مسيحية التوحيد سائدة خلال القرن الأول في القدس وفلسطين حيث عاش بقية الحواريين وأتباع الرسل ،وحتى مطلع القرن الرابع الميلادي - وقد كانت هذه القرون موحدة تعتقد أن عيسى ليس سوى بشر و نبي بل لقد وجد بولس وثالوثه مقاومة عنيفة ضد مسيحيته الصليبية المثلثة في أنطاكية و كولوسي و روما و يرها من المناطق التي كان يبشر فيها بمسيحيته المحرفة.

٤/ و أهم النتائج هي أن التثليث لم يكتب له الانتصار النهائي على عقيدة

التوحيد حتى يومنا هذا، و يبدو هذا جلياً في جماعة الموحدين المسيحيين في كل بقاع العالم.

٥/ إن الفرق التاريخي بين التوحيد والتثليث يأتي من حقيقة أن الموحدين طالما كانوا يؤمنون بوجود إله واحد، فإنهم يعتقدون أن الله أقنوم واحد وليس ثلاثة أقانيم ومن ثم ليس ثلاثة آلهة. إن الأسفار لم تأت بدليل واحد أو مستند للاعتقاد في التثليث.

٦/ إن نظام الكون يتطلب مصدرا واحدا للشرح والتعليل لا ثلاثة، لذلك فإن عقيدة التثليث تفتقد أي قيمة دينية أو علمية و هذا ما تقرره دائرة المعارف الأمريكية.

التوصيات:

١/ إن على الدارسين والباحثين في علم مقارنة الأديان أن يوجهوا اهتمامهم إلى الدراسات المتعلقة بالوثائق والمخطوطات الدينية التي تسفر عنها و تكشفها الدراسات التاريخية والآثرية الحديثة دراسة علمية رصينة تقود الى الحق وتكشف عن حقيقة العقائد والأديان و تطورها التاريخي بغية كشف النقاب كما نجدها أصولها و مصادرها الأولى و ما دخل عليها من تحريف و تغيير و تبديل.

٢/ إبراز المبادي التوحيدية التي يمكن العثور عليها في الكتب المقدسة المتداولة و تقديمها كدلائل و براهين على فطرية التوحيد، و أنه أصل العقيدة الصحيحة والدين القويم الذي بعث به أنبياء الله و رسله الكرام.

٣/التأكيد على ان نظام العالم و طبيعته لا يحتاج إلى اقانيم ثلاث، و أن التثليث هو أمر طارئ و دخيل و اتجاه مضاد للتوحيد الذي جاء به كل أنبياء الله و رسله و منهم المسيح عليه السلام عبد الله و رسوله.

٤/ التركيز على الدراسات النقدية التي تخدم وسائل وأساليب الدعوة الإسلامية بقوة واقتدار في ضوء المتغيرات المعاصرة.





المصادر والمراجع:

١. احمد عبد الوهاب، (المسيح في مصادر العقائد المسيحية) مكتبة وهبة، مصر، ١٩٧٨م.
٢. أحمد عبد الوهاب ، (طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون) مكتبة وهبة ، مصر، ١٩٨٠م.
٣. د. أحمد شلبي (المسيحية) مكتبة النهضة المصرية – مصر ١٩٧٨م.
٤. أحمد حجازي الفا، (أقانيم النصارى) دار الأنصار، مصر، ١٩٧٧م.
٥. القس أبو البركات، (مصباح الكلمة في إيضاح الخدمة).
٦. أبن تيمية ، (الجواب الصحيح لم بدل دين المسيح).
٧. إسبينوزا، (رسالة في اللاهوت والسياسة) ، ترجمة وتقديم د. حسن حنفي ، القاهرة ، ١٩٧١م.
٨. بول هازار، (أزمة الضمير الأوروبي) ، تقديم د. طه حسين.
٩. جون هيك (أسطورة الاله المستجد في ا لسيد المسيح) ترجمة د. نبيل صبحي ، دار القلم ، الكويت، ١٩٨٥م.
١٠. جاي ديس (الزنديق الأعظم) ترجمة، احمد نجيب هاشم.
١١. زكي شنودة (تاريخ الأقباط) ج ١، مطبعة النهضة المصرية، مصر، ١٩٧٤م.
١٢. أ.س. سيفنسيسكا (المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية – خفايا القرون) ترجمة، حسان مخائيل إسحق ، منشورات دار علاء الدين.
١٣. د.سفر الحوالي (الموحدون النصارى) ، منشور مجلة البيان ٢٣ شوال ١٤٢٨هـ/١١/٢٠٠٧م.
١٤. سسلفستر شولز، (الكنيسة قبل الإسلام) ج ١٢، كاملاً.
١٥. سليمان الغزي (مؤلفات سليمان الغزي) ج٣، تحقيق المطران ثافيطوس إدلبي.
١٦. السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم ، القس وليم مارش، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ، بيروت.

١٧. شارل جينبير (المسيحية نشأتها وتطورها) ترجمة الإمام : عبد الحليم محمود، دار المعارف ، مصر، ١٩٨١م.
١٨. القس صمويل مشرقي،(حقيقة المسيح) دار العالم العربي، القاهرة ، ١٩٩٠م.
١٩. الإمام محمد او زهرة (محاضرات في النصرانية) دار الفكر العربي، مصر، ١٩٦٥م.
٢٠. الإمام محمد أبو زهرة (الديانة القديمة).
٢١. محمد مجدي مرجان (الله واحد أم ثالوث) ، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩م.
٢٢. على عبد الواحد وافي(الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام) دار العالم العربي، مصر، ١٩٧٧م.
٢٣. القس د. فهيم عزيز، (الفكر اللاهوتي في رسائل القديس بولس) ، دار الثقافة المصرية، القاهرة، ١٩٨٨م.
٢٤. القس الياس مقار (قضايا المسيحية الكبرى) ، دار الثقافة المسيحية، مصر ، ١٩٧٥م.
٢٥. القس يوسف سعد، (العذراء في التاريخ الكنسي) ، مطبعة دار العالم العربي، مصر، ١٩٨٢م.
٢٦. وحيد الدين خان، (الإسلام يتحدى – تعريب ظفر الإسلام خان) ، دار البحوث ا لعلمية، ١٩٧٣م.
٢٧. المستشار محمد عزت الطهطاوي، (النصرانية والإسلام).
٢٨. أحمد تقي الدين العثماني، (ماهي النصرانية) ، مطابع رابطة العالم الإسلامي، مكة، ١٩٨٢م.
٢٩. نوفل أفندي نوفل، (سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان) البحث الرابع، كتاب زبدة الصحائف في أصول المعارف ، بيروت، ١٨٧٦م.
٣٠. د.يوسف كرم، (تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط) ، دار العلم.
٣١. يعقوب نخلة روفيلة (تاريخ الأمة القبطية) تقديم د. جودت جبرة ،





مؤسسة مار مرقس ، مصر، ٢٠٠٠م.

٣٢. ابراهيم الدميجي (مدونة : كلنا نحب المسيح عليه السلام) ١/٤/١٣٣٣هـ.

٣٣. tp/eslam١٠٠gspot.com. p. ١٠١

٣٤. http/www.muslem.net N٦١١index,php,١٣٢

٣٥. J.M.Macfie, M.A. Myths and Legends of India. New Delhi. ١٩٩٤.